

قصة: تغريد النجار
رسوم: زينب فيضي

قبّعة رغدة

قصة: تغريد عارف النجار

رسوم: زينب فيضي

التدقيق اللغوي والمراجعة : هديل مقدادي

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : 2012/3/998

ردمك ISBN 978-9957-04-064-2

طبعت في المطابع المركزية - عمان، الأردن

الطبعة الرابعة: 2018

للتواصل مع الدار، الرجاء الكتابة لـ info@alsalwabooks.com



تم تصنيف هذه القصة وفق معايير «عربي ٢١» لتصنيف كتب أدب الأطفال العربي وقد صنفت مستوى س متقن أدنى «٦»



www.alsalwabooks.com

قبّعة رغدة



قصّة: تغريد النجار
رسوم: زينب فيضي

1



طالبةٌ جديدةٌ في الصّفِّ

في يومٍ منَ الأيّامِ المدرسيّةِ الطّويلةِ، وبينما كنتُ جالسةً في الصّفِّ أُحاولُ جاهدةً أنْ أُتابعَ شرحَ معلّمةِ الاجتماعيّاتِ ست فاديا، دقَّ البابُ ودخلتِ السّيّدةُ نائلة، مديرةُ المدرسةِ، وبرفقتِها فتاةٌ صغيرةٌ شاحبةُ اللّونِ تلبسُ قبّعةً تُغطّي بها مُعظمَ رأسِها.

وبسرعةٍ انتفضنا وقوفًا أمامَ أدراجِنا وكلّنا انتباهٌ لِما ستقولُهُ السِّت نائلة.

قالتِ المديرةُ بصوتِها الجَهوريِّ: "جلوسٌ يا بنات! أُعرّفكنَّ على الطّالبةِ الجديدةِ رغدة الّتي انضمّتْ مُؤَخّرًا إلى مدرسَتِنا. لقدْ فاتَتْها بعضُ الدّروسِ لظروفٍ خاصّةٍ بها. أرجو منْ كلِّ طالبةٍ في الصّفِّ أنْ تُرحّبَ بها في مدرستِنا، وتساعدَها قدرَ الإمكانِ."



صمتَتْ قليلاً وهيَ تنظرُ إلينا بعينيْنِ ثاقبتيْنِ منْ فوقِ نظّارتها ثمَّ قالتْ: "مفهومٌ يا بنات!"

قلنا بصوتٍ واحدٍ: "نعمْ يا ستّ نائلة."

وبعدَ أنْ غادرتِ المديرةُ الصّفَّ، رحّبتِ المعلّمةُ بِرغدة وأشارتْ إليها أنْ تجلسَ على المقعدِ الخالي بقُربي.

اقتربتِ البنتُ الجديدةُ منْ مقعدي، وهيَ تنظرُ حولَها بخجلٍ حتّى وصلتْ إلى مقعدِها وجلستْ عليهِ، ثمَّ فتحتْ حقيبتَها لتخرجَ منها الكتبَ والمقلمةَ.

أردتُ أنْ أتكلّمَ معها وأُعرّفها على نفسي، ولكنّني لمْ أعرفْ ما أقولُ لها، فأزحتُ نظري عنْها، وصرتُ أتحدّثُ معَ سناء الّتي تجلسُ على الجهةِ الأُخرى منْ مقعدي.

لكنْ عندَما أدرتُ رأسي، وجدتُ بعضَ الطّالباتِ يُحدّقنَ في رغدة ويتهامسنَ ويتضاحكنَ على منظرِ قبّعتها غيرِ المناسبةِ لهذا الطّقسِ الحارِّ.

نظرتُ إلى الطّالبةِ الجديدةِ، رغدة، وللحظةٍ تلاقتْ نظراتُنا، فرأيتُ الدّموعَ تترقرقُ في عينيها وهيَ تحاولُ جاهدةً أنْ لا تُظهرَ مشاعرَها.



شعرتُ بالغضبِ على نفسي وعلى زميلاتي والتفتُّ إليها قائلةً: "أنا زينب، ويسمّونني زنّونة لأنّني أزنُّ كلَّ الوقتِ، وأنتِ ماذا يسمّونكِ؟ رغّودة؟"

ضحكتْ رغدة وهزّتْ رأسَها قائلةً: "رغدة... رغّودة... لا يهمُّ." وفي تلكَ اللّحظةِ، انتبهتِ المعلّمةُ إلى وشوشتنا وعدمِ انتباهنا، فصرختْ بعصبيّةٍ وهيَ تنظرُ

باتّجاهنا: "انتباهٌ يا بنات! يكفي ثرثرةً وحديثًا! المهمُّ الآنَ التّركيزُ على الدّرسِ."

حاولنا أنا ورغدة أنْ نخفيَ ضحكاتنا عنِ المعلّمةِ الغاضبةِ، وننتبهَ للشّرحِ لبقيّةِ الحصّةِ.

وأخيرًا جاءَ وقتُ الفسحةِ الأولى وعمَّ الضَّجيجُ في كلِّ مكانٍ؛ فالبناتُ متشوّقاتٌ للخروجِ إلى السّاحةِ. هممتُ باللّحاقِ بصديقاتي وأنا أقولُ لهنَّ: "انتظرنَني يا بناتُ... أنا قادمةٌ... أنا قادمةٌ."



نظرتُ إلى رغدة فرأيتُها تقفُ مكانَها، لا تعرفُ أينَ تذهبُ.

قلتُ لها: "تعاليْ معي يا رغّودة! فهذا اسمكِ منَ اليومِ، تعاليْ لأُعرّفكِ على صديقاتي."

أسرعتُ إلى السّاحةِ ورغدة ورائي.

قلتُ لصديقاتي: "هذهِ رغدة، البنتُ الجديدةُ في صفّنا، أسميتُها رغّودة. كمْ غضبَتْ منّا المعلّمةُ اليومَ ونحنُ نتهامسُ." ثمَّ قلتُ وأنا أقلّدُ حركاتِ المعلّمةِ: "انتباهٌ يا بنات!"

قالتْ رغدة مقلّدةً صوتَ المعلّمةِ: "يكفي ثرثرةً وحديثًا!"

ضحكتِ البناتُ، ثمَّ نظرتْ سناءُ إلى رغدة وقالتْ وهيَ تمضغُ "السندويش" وفمُها مملوءٌ بالأكلِ كعادتِها: "لماذا تلبسينَ هذهِ القبّعةَ الغريبةَ والطَّقسُ حارٌّ يا رغدة؟ شكلُها غريبٌ!"



صمتتْ رغدة ونظرتْ بحذرٍ إليْنا ثمَّ قالتْ باقتضابٍ: "لأنّني كنتُ مريضةً... في المستشفى."

في تلكَ اللّحظةِ، دقَّ الجرسُ معلنًا انتهاءَ الفسحةِ، وبدأْنا نقفُ في طابورٍ استعدادًا للعودةِ إلى الصّفِّ.

نظرتُ إلى رغدة وعشراتُ الأسئلةِ تتدافعُ في رأسي:

"في المستشفى؟ لماذا؟ وما مرضُها يا ترى؟ وما دخلُ المستشفى بالقبّعةِ الغريبةِ؟" عزمتُ على أنْ أسألها لأعرفَ التّفاصيلَ.



2



بدايةٌ غيرُ موفّقةٍ

في اليومِ التّالي، دخلتْ رغدةُ الصّفَّ وعيناها تجولانِ في الغرفةِ تبحثانِ بينَ الوجوهِ إلى أنْ رأتْني؛ فأشرقَ وجهُها بابتسامةٍ عريضةٍ، وبدأتْ تشقُّ طريقها بينَ الطّالباتِ نحوي.

همستْ سناءُ في أذني: "أُفّ... إنَّها البنتُ الجديدةُ



"أُمُّ القبّعةِ". دعينا نتجاهلها؛ لعلّها تصاحبُ غيرَنا."

قالتْ فايزة موافقةً: "نعمْ... نعمْ، فلنتجاهلها. سمعتها تقولُ إنّها كانتْ مريضةً في المستشفى، لعلَّ مرضها مُعْدٍ."

قالتْ منيرة وهيَ تشدُّني بعيدًا: "كفى يا زينب! لا تعيريها أيَّ انتباهٍ، لعلّها تبتعدُ عنّا... فنحنُ لا نريدُها في الشّلّةِ معنا."

لمْ أستطعْ أنْ أُغضبَ صديقاتي؛ فأعرضتُ بوجهي عنْ رغدة ولمْ أُعِرْها أيَّ انتباهٍ، وانشغلتُ بالضّحكِ والتّغامزِ معَ صديقاتي. أمّا رغدة فتوقّفتْ مكانَها ثمَّ تحرّكتْ بكلِّ بطءٍ إلى مقعدها وانشغلتْ بإخراجِ الكتبِ والدّفاترِ من حقيبتها.

شعرتُ بوخزِ الضّميرِ والخجلِ منْ نفسي، وعندَما دخلتِ المعلّمةُ والكلُّ جلوسٌ همستُ لرغدة: "كيفَ حالُكِ اليومَ؟"



ولكنَّ رغدة انشغلتْ بترتيبِ مقلمتِها وكتبها على المقعدِ وتمتمتْ: "ماشي الحال." دونَ أنْ تنظرَ إليَّ.

وفي وقتِ الفسحةِ، قامتْ صديقاتي بسحبي معهنَّ، ولمحتُ رغدة تجلسُ وحدها على مقعدٍ تأكلُ "سندويشتها".

3



جيرانٌ بالصّدفةِ

عندما عدتُ إلى البيتِ، كنتُ أشعرُ بالقلقِ وتأنيبِ الضّمير، ولمْ أستطعْ أنْ أركّزَ على دروسي. انتبهتْ أمّي لقلقي وتأفّفي وحركتي الزّائدةِ؛ فأحضرتْ لي كأسًا منَ الليموناضةِ، وقالتْ وهيَ تضعُ العصيرَ أمامي: "هلْ هناكَ ما يقلقُكِ يا عزيزتي؟ ما بِكِ لا تكفّينَ عنِ الحركةِ؟"

قلتُ لها: "حدثَ ما ضايقني في المدرسةِ اليومَ يا ماما."

قالتْ أمّي: "هلْ تشاجرتِ معَ صديقاتكِ؟"

تمنّعتُ قليلاً عنِ البوحِ بما يُضايقني، ولكنَّ أمّي كعادتِها أصرَّتْ على أنْ تعرفَ فأخبرتُها عنْ رغدة، البنتِ الجديدةِ، الّتي تلبسُ قبّعةً غريبةً، وكيفَ أنَّ صديقاتي أثّرنَ عليَّ ومنعنني منْ مرافقتها، وكيفَ طاوعتهنَّ وأهملتُها.

قلتُ لها وأنا على وشكِ البكاءِ: "لا أدري يا ماما، لا أدري لماذا تصرّفتُ معَ البنتِ الجديدةِ بهذهِ الطّريقةِ معْ أنّها أعجبتْني وشعرتُ أنّهُ بالإمكانِ أنْ نكونَ صديقتيْنِ."

قالتْ أمّي وهيَ تربّتُ على كتفي: "شعورُك بالذّنبِ يدلُّ على مشاعركِ الصّادقةِ."

هززتُ رأسي بخجلٍ. وبعدَ لحظةٍ، سألتْني أمّي: "ما اسمُ عائلةِ البنتِ الجديدةِ؟"



قلتُ لها: "أظنُّ أنّها من عائلةِ المعالين."

ابتسمتْ أمّي وقالتْ: "يا للصُّدفةِ! عائلةُ المعالين، همْ جيرانُنا الجددُ في العمارةِ المقابلةِ."

قلتُ غيرَ مصدّقةٍ: "جيرانُنا؟!"

قالتْ أمّي: "نعمْ، ألا تذكرينَ أنَّ عائلةَ السّلمانِ تركتِ الشّقّةَ المقابلةَ لنا لتسكنَ في بيت ملك، وبقيتِ الشّقّةُ فارغةً عدّةَ أشهرٍ. وأخيرًا سمعنا أنَّ عائلةَ المعالين انتقلتْ إلى الشّقّةِ الأسبوعَ الماضي. ما رأيكِ لوْ نذهبُ

لزيارتهِم لنباركَ لهمْ بالبيتِ الجديدِ؟"

قلتُ لأمّي: "لا أدري يا ماما... قدْ يكونُ الموقفُ محرجًا بعضَ الشّيءِ."

قالتْ أمّي: "يكفي كلامًا فارغًا! تعاليْ ساعديني في عملِ صينيّةِ الهريسةِ لنأخذَها معنا عندَ زيارتهم."

ابتسمتْ أمّي وقالتْ وهيَ تُحضّرُ الموادَّ لعملِ الهريسةِ: "يا ليتَ والدكِ معنا؛ فهوَ يحبُّ الهريسةَ كثيرًا."

والدي يعملُ في الخليجِ، ويأتي لزيارتِنا كلَّ ثلاثةِ أشهرٍ، وقدْ وعدني أنْ يأخذَني معهُ إلى دبيَّ في عطلةِ الصّيفِ.

قلتُ لأمّي ضاحكةً: "لا بأسَ يا ماما، علّميني كيفَ أعملها حتّى أخبزَها لهُ عندما أذهبُ لزيارتهِ في الصّيفِ."

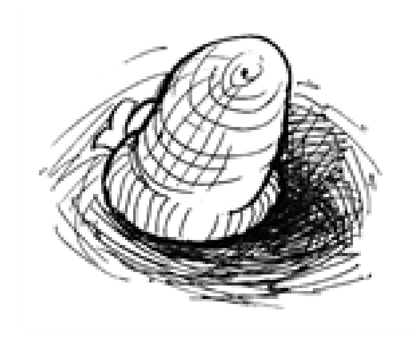
ضحكتْ أمّي وقالتْ: "خلص، قرّرتِ السّفر! ومنْ يبقى معي؟"



قلتُ ضاحكةً: "أحمدُ الصّغيرُ طبعًا."

ساعدتُ أمّي في عملِ صينيّةِ الهريسةِ، وعندما بردتْ، حملناها وذهبنا إلى بيتِ جيرانِنا الجددِ.

4



سرُّ قبّعةِ رغدة

ضغطتُ على جرسِ البابِ وأنا أفكّرُ بما سأقولُ لرغدة عندما أراها. فتحَ لنا البابَ فتىً يكبرُني بعدّةِ سنواتٍ يشبهُ رغدة... لا بدَّ أنْ يكونَ أخاها. رحّبَ بنا عندما عرفَ أنّنا جيرانهمْ، وأدخلَنا إلى غرفةِ الجلوسِ.

وما هيَ إلاّ لحظاتٌ حتّى جاءتْ والدةُ رغدة وهيَ تمسّدُ

ملابسَها وشعرَها. رحّبتْ بنا بحرارةٍ قائلةً: "يا أهلاً وسهلاً بالجيرانِ. تفضّلوا... تفضّلوا، لا تؤاخذوني، البيتُ ما يزالُ في حالةِ فوضى."

قالتْ أمّي: "الانتقالُ إلى بيتٍ جديدٍ صعبٌ ومتعبٌ، والبيتُ يحتاجُ إلى وقتٍ طويلٍ لترتيبهِ. باللهِ عليكِ يا جارتَنا أنْ تقولي لي إنِ احتجتِ إلى أيِّ مساعدةٍ."

ثمَّ نظرتْ إليَّ قائلةً: "هذهِ ابنتي زينب، أظنُّ أنّها تذهبُ إلى نفسِ المدرسةِ الّتي تذهبُ إليْها ابنتكِ."

في تلكَ اللّحظةِ، لمحتُ قبّعةَ رغدة وراءَ البابِ ثمَّ رأيتُها تختفي، وسمعتُ بابَ الغرفةِ يغلقُ خلفَها.

قالتْ أمُّ رغدة: "لا أدري ما بها؟" ثمَّ نادتْ قائلةً: "رغدة... يا رغدة... أينَ أنتِ؟ تعالَيْ! عندَنا ضيوفٌ."

قلتُ بسرعةٍ: "لا بأسَ يا خالةُ. أنا سأذهبُ إليها، فهيَ زميلتي في المدرسةِ."



ابتسمتْ أمُّ رغدة وقالتْ: "عظيمٌ، هذهِ غرفتها، هناكَ على اليمينِ."

دققتُ على البابِ، وبعدَ عدّةِ لحظاتٍ منَ الصّمتِ، سمعتُ صوتَ رغدة يقولُ: "ادخلي."

فتحتُ البابَ بكلِّ حذرٍ ومددتُ رأسي داخلَ الغرفةِ وأنا أبحثُ عنها. كانتْ رغدة تجلسُ على سريرِها وهيَ تنظرُ أمامَها وتستمعُ إلى الموسيقى.

قالتْ بحذرٍ: "لماذا؟ لماذا أتيتِ إلى بيتي؟"

نظرتُ حولي إلى غرفةِ رغدة ووجدتُ أنَّها تشبهُ غرفتي تمامًا ولكنَّها أكثرُ ترتيبًا.

قلتُ لرغدة: "هلْ تصدّقينَ يا رغدة أنّني جارتكِ؟ أسكنُ معَ عائلتي في العمارةِ المقابلةِ لبيتكِ، في الطّابقِ الرّابعِ."



نظرتْ رغدة إليّ طويلاً دونَ أنْ تتكلّمَ، وشعرتُ بعدمِ الارتياحِ والعجزِ عنْ مواجهةِ نظراتها.

قالتْ رغدة بصوتٍ خافتٍ: "ظننتُ أنّكِ صديقتي. كمْ سعدتُ وأخبرتُ أمّي عنكِ. وكمْ كنتُ متحمّسةً للذّهابِ إلى المدرسةِ في اليومِ التّالي، ولكنْ... ولكنّكِ تجاهلتني تمامًا... أنتِ وصديقاتكِ."

قلتُ بسرعةٍ وقدِ احمرَّ وجهي خجلاً: "أنا آسفةٌ يا رغدة، لا أدري ماذا جرى لي؟ دعينا ننسى ما حصلَ ونبدأُ منْ جديدٍ. أرجوكِ... أرجوكِ، فأنا حقًّا أريدُ أن أكونَ صديقتكِ، وخاصّةً لأنّنا جيرانٌ أيضًا."

ابتسمتْ رغدة وهيَ تقولُ: "هلْ حقًّا... حقًّا تريدينَ أنْ تكوني صديقةً لي؟"

قلتُ ممازحةً لها: "نعمْ، ولكنْ على شرطِ أن تتخلّصي منْ هذهِ القبّعةِ الغريبةِ الّتي تلبسينها كلَّ الوقتِ."

وبسرعةٍ اختفتِ الابتسامةُ عنْ وجهِ رغدة، وقالتْ بغضبٍ: "ألا تعجبكِ قبّعتي؟ إذًا سأخلعها."

وبحركةٍ سريعةٍ سحبتِ القبّعةَ ورمتْها على الأرضِ، ووقفتْ أمامي ويداها على خاصرتيْها وهيَ تجحرُني وتتحدّاني بنظراتها. صُعِقْتُ من هولِ المفاجأةِ وتسمّرتُ مكاني! لقدْ كانتْ رغدة صلعاءَ... صلعاءَ تمامًا!

لمْ أعرفْ ما أقولُ لها ولكنَّ الدّموعَ في عينيْها جعلتني أتمالكُ نفسي وأقولُ: "أنا آسفةٌ... لمْ أعرفْ! لمْ أعرفْ!"

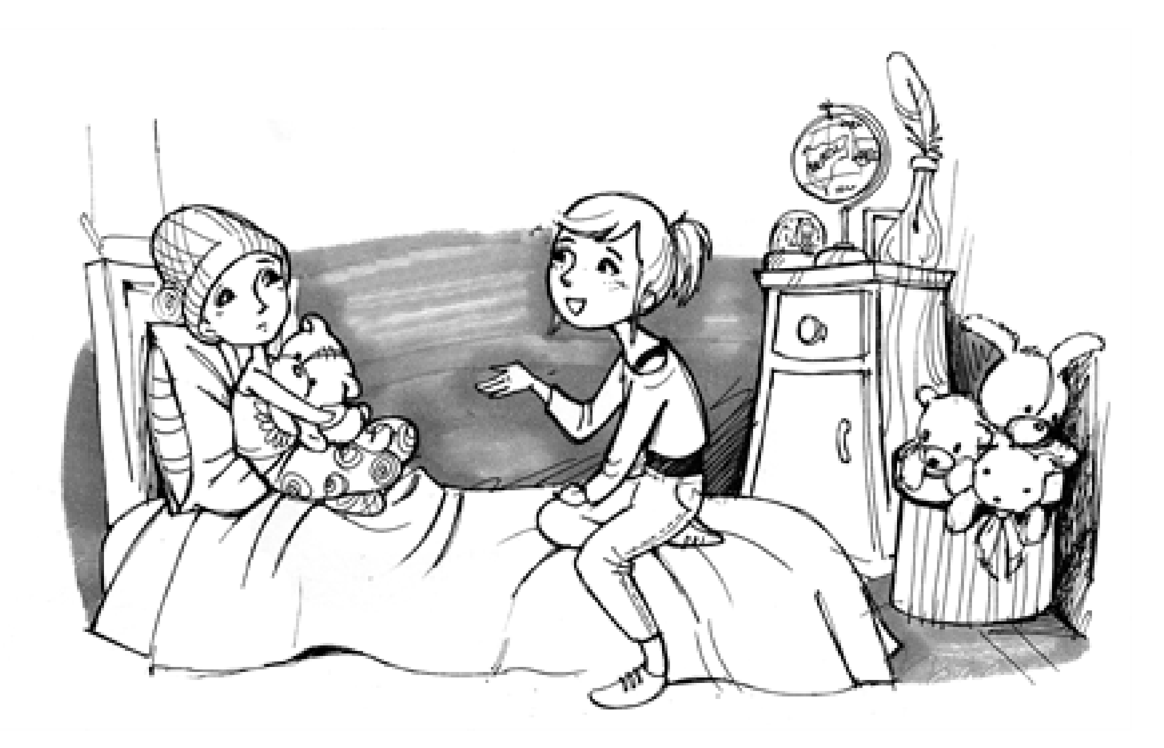
أردتُ أنْ أهربَ منَ الغرفةِ، أردتُ أنْ أعودَ إلى بيتي، بدا لي أنّني أعتذرُ منها كلَّ الوقتِ.

قالتْ رغدة وهيَ تضعُ القبّعةَ على رأسِها مرّةً ثانيةً: "أنا آسفةٌ، تملّكني الغضبُ منْ ملاحظتكِ، وفقدتُ أعصابي ولكنْ لا تخافي، الصّلعُ سببهُ الدّواءُ الّذي آخذهُ، وسوفَ ينمو شعري مرّةً ثانيةً بعدَ الانتهاءِ منْ جرعاتِ الدّواءِ."



ثمَّ قالتْ بتأنٍّ: "أنا مصابةٌ بمرضِ السّرطانِ يا زينب.
هلْ ما زلتِ تريدينَ أنْ تكوني صديقتي؟"
قلتُ لها وأنا مصدومةٌ ممّا سمعتُ: "طبعًا... طبعًا، أريدُ أنْ أكونَ صديقتكِ!"
ولكنْ في نفسِ الوقتِ كنتُ أفكّرُ: سرطان! سرطان! هلْ يصيبُ هذا المرضُ المرعبُ أطفالاً بمثلِ عمري وعمرِ رغدة؟ مسكينةٌ رغدة.

قالتْ رغدة بعصبيّةٍ وكأنّها تقرأُ أفكاري: ”لا تقولي مسكينةٌ، فأنا لا أريدُ شفقةً من أحدٍ؛ لذلكَ لمْ أخبرِ البناتِ في المدرسةِ عنْ مرضي. أريدُ منَ الجميعِ أنْ يقبلوني ويصاحبوني بعدَ أنْ يتعرّفوا على شخصيّتي ويحبّوني لنفسي، وقدْ جعلتُ أمّي تؤكّدُ على المديرةِ والمعلّماتِ ألّا يذكرنَ الموضوعَ قبلَ أنْ أكونَ مستعدّةً لذلكَ.“



ثمَّ أكملتْ قـائلـةً: "لا تفهميني بشكلٍ خـاطئٍ يـا زينب، أرجوكِ! أرجوكِ! أنـا لستُ خجلـةً منْ مرضي، فـالسّرطـانُ مرضٌ مثلُ كلِّ الأمراضِ ولـهُ علاجٌ والحمدُ للهِ. وقدْ أكّدَ لنـا الطّبيبُ أنّـهُ منَ المؤمّلِ أنْ أتعـافى منْ هذا المرضِ تمـامًـا؛ لأنّنـا بدأنـا العلاجَ مبكّرًا."

أخرجتْ رغدة ألبومَ صورٍ لأطفـالٍ في أمـاكنَ مختلفـةٍ منَ العـالمِ، وأخذتْ تقولُ لي: "انظري إلى هذا الشّابِّ الّذي يلعبُ كرةَ المضربِ "التّنس"، عمرهُ الآنَ ثمـانيةَ عشرَ عـامًـا وقدْ أُصيبَ بمرضِ السّرطـانِ وعمرهُ ثمـانـي سنواتٍ، وقدْ شفيَ منـهُ تمـامًـا، وهـا هوَ الآنَ يعيشُ حيـاةً طبيعيّةً ويلعبُ الرّيـاضـةَ ويبدعُ فيـهـا. وانظري أيضًـا إلى هذهِ الفتـاةِ... وهذهِ أيضًـا... وهذهِ... وهذهِ."

تصفّحتُ الألبومَ معَ رغدة، وأعترفُ لكمْ أنّني شعرتُ بـالرّاحـةِ لأنَّ هذا المرضَ يمكنُ الشّفـاءُ منـهُ بعدَ العلاجِ.



قالتْ رغدة: "كفانا كلامًا عنِ المرضِ، هلْ تريدينَ أنْ تسمعي آخرَ الأغنياتِ؟"

قلتُ لها: "نعمْ، طبعًا. منْ هوَ مطربكِ المفضّلُ؟"

وكمْ سعدتُ عندما اكتشفتُ أنّني ورغدة نشتركُ في محبّةِ نفسِ المطربينَ والمطرباتِ.

رفعنا صوتَ الموسيقى وصرنا نغنّي معَ المطربةِ إلى أنْ سمعنا والدةَ رغدة تنادي منْ غرفةِ الجلوسِ:

”رغدة... اخفضي صوتَ الموسيقى، وتعالَيْ معَ زينب لتناولِ الشّاي.“



5



بدايةُ الصّداقةِ

ذهبْنا معًا إلى غرفةِ الجلوسِ، وهناكَ عرّفتُ أمّي على صديقتي الجديدةِ رغدة. وبعدَ أنِ انتهيْنا منْ تناولِ الشّايِ، اتّفقتْ أمّي معَ والدةِ رغدة على التّناوبِ في توصيلِنا وإرجاعِنا منَ المدرسةِ.

وفي طريقِ العودةِ قالتْ أمّي: "لماذا أنتِ صامتةٌ يا زينب؟

هلْ حللتِ مشكلتكِ معَ رغدة؟ يبدو أنّها فتاةٌ لطيفةٌ، وأنا سعيدةٌ لأنّها جارتكِ. شعرتُ بالرّاحةِ معَ أمّها وأحسستُ أنّني أعرفُها منذُ زمنٍ بعيدٍ، وتعاطفتُ معها لكثرةِ مسؤوليّاتها بعدَ وفاةِ زوجِها. أشعرُ أنّنا سنصبحُ صديقتيْنِ أيضًا."

ثمَّ أضافتْ أمّي ضاحكةً: "أنا سعيدةٌ أيضًا لأنّني وجدتُ منْ أتناوبُ معها في التّوصيلِ إلى المدرسةِ." صمتتْ أمّي للحظاتٍ، ونظرتْ إليَّ ثمَّ قالتْ بهدوءٍ: "ولكنْ لماذا أنتِ صامتةٌ وشاردةٌ يا زينب؟"

قلتُ لأمّي: "لا... لا شيء."

قالتْ أمّي: "كيفَ تقولينَ لا شيء! أنا أعرفكِ وأعرفُ أنَّ شيئًا ما يشغلُ بالكِ."

لمْ أستطعْ أنْ أتمالكَ نفسي فقلتُ لها: "هلْ تصدّقينَ يا ماما أنَّ رغدة مصابةٌ بالسّرطانِ؟"

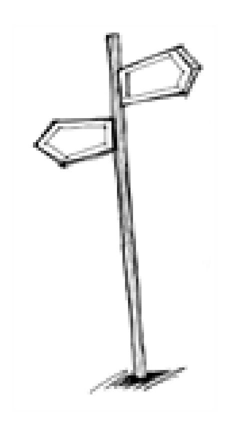
قالتْ أمّي بكلِّ هدوءٍ: "نعمْ يا زينب، لقدْ أخبرتني أمّها، والحمدُ للهِ إنَّ احتمالَ شفائها الكاملِ منَ المرضِ كبيرٌ جدًّا."

شعرتُ بالارتياحِ لكونِ أمّي تعرفُ، وأخبرتُها كمِ استمتعتُ معَ رغدة، وكيفَ أنّنا نحبُّ نفسَ الأغاني ونفسَ الممثّلينَ.

ولكنْ... كانَ هناكَ ما يقلقني ولمْ أَبُحْ بهِ لأمّي.



6



الاختيارُ الصّعبُ

في تلكَ اللّيلةِ، لمْ أستطعِ النّومَ وصرتُ أتقلّبُ في سريري وأسألُ نفسي: لماذا عليَّ أنْ أختارَ بين صداقتي لرغدة وصداقتي للشّلّةِ؟

سناءُ تضحكني دائمًا بحركاتِها وتصرّفاتِها، ومنيرةُ تشاركُني في طعامِها، وفايزة تعيرُني أغراضَها و...



ولكنْ... لمْ أشعرْ أبدًا بالقربِ وبالرّاحةِ معَ أيٍّ واحدةٍ منَ البناتِ في الشّلّةِ مثلما شعرتُ معَ رغدة. يا ربّي ساعدْني! كيفَ أتصرّفُ غدًا صباحًا؟ ولماذا عليَّ أنْ أختارَ بينهُنَّ؟ ألا نستطيعُ جميعُنا أنْ نكونَ صديقاتٍ؟

في صباحِ اليومِ التّالي، شعرتُ ببعضِ التّخوّفِ منْ صديقاتي في المدرسةِ، وكيفَ سيتعاملنَ معَ صديقتي الجديدةِ خصوصًا أنّني وعدتُ رغدة أنْ لا أُفشيَ سرَّ ارتدائها للقبّعةِ كلَّ الوقتِ.

تحدّثتُ معَ أمّي في الموضوعِ، فقالتْ لي إنَّ عليَّ أنْ أحترمَ رغبتها، وأنْ لا أُفشيَ سرّها، وأنْ أكونَ صديقةً لها.

كانتْ سناءُ أوّلَ منْ رأتْنا في السّاحةِ عندَ وصولِنا المدرسةَ ذلكَ الصّباحِ. توقّفتْ قليلاً ثمَّ صرختْ بأعلى صوتِها تناديني لأنضمَّ إلى الشّلّةِ. شعرتُ بقلبي يهوي وأنا أتصارعُ معَ نفسي. هلْ أذهبُ معهنَّ أمْ أبقى معَ رغدة؟

قالتْ رغدة بصوتٍ منخفضٍ: "اذهبي أنتِ، فشلّتكِ تريدكِ معها."

قلتُ بشجاعةٍ لمْ أشعرْ بها منْ قبلُ: "لا... لا يا رغدة، تعالَيْ معي! أنتِ صديقتي الآنَ."

في تلكَ اللّحظةِ، دقَّ جرسُ المدرسةِ وأسرعنا لنقفَ في الطّابورِ استعدادًا لدخولِ الصّفِّ.

وقفتْ سناء ورائي في الطّابورِ وهيَ تنخزني وتقولُ:

"أينَ أنتِ يامجنونةُ؟ لماذا لمْ تردّي عليَّ عندما ناديتكِ؟"

قلتُ: "أنا هنا أمامكِ. ماذا تريدينَ؟"

همستْ سناء بصوتٍ مسموعٍ: "أما زلتِ معَ البنتِ الجديدةِ؟ ألمْ نتّفقْ على ألّا نضمّها إلى شلّتنا؟"

قلتُ: شش يا سناء، اخفضي صوتكِ... اسمُها رغدة، وهيَ جارتي وصديقتي الآنَ."

صاحتْ سناءُ بعصبيّةٍ: "إذًا... ابقيْ معها وحدكِ!"

قالتْ رغدةُ والدّموعُ تترقرقُ في عينيْها: "أنا آسفةٌ. لقدْ خسرتِ صديقاتكِ بسببي."

قلتُ بغضبٍ: "لوْ أنّهنَّ صديقاتٌ حقيقيّاتٌ ما تصرّفنَ بهذهِ الطّريقةِ."

صمتتْ رغدة ومشتْ بجانبي بهدوءٍ، وعندما وصلنا

غرفةَ الصّفِّ قالتْ لي: "ادخلي أنتِ يا زينب. أريدُ أنْ أتحدّثَ معَ المعلّمةِ قليلاً قبلَ أنْ تبدأَ الحصّةُ."

شعرتُ بالقلقِ والحزنِ فقلتُ: "ما المشكلةُ يا رغدة؟"

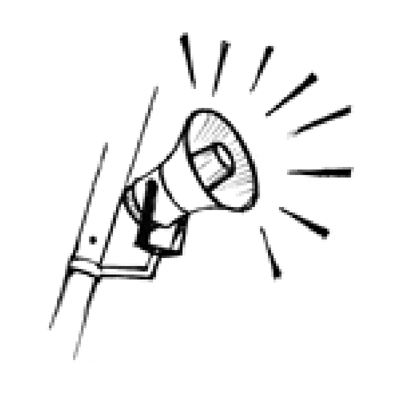
قالتْ رغدة: "لا شيءَ، ادخلي... ادخلي، ستعرفينَ قريبًا."

وما هيَ إلّا لحظاتٌ حتّى دخلتِ المعلّمةُ الصّفَّ ورغدة برفقتِها.

وقفتْ رغدة مرفوعةَ الرّأسِ بجانبِ المعلّمةِ تنظرُ إلى بناتِ الصّفِّ بابتسامةٍ خفيفةٍ على وجهِها.



7



المفاجأةُ

شعرتُ بتسارعٍ في دقّاتِ قلبي وأنا أفكّرُ برغدة وبسببِ وقوفِها أمامَ الصّفِّ معَ المعلّمةِ بهذا الشّكلِ. هلِ اشتكتْ رغدة سناءَ والشّلّةَ إلى المعلّمةِ؟ أرجو ألّا يكونَ هذا سببَ وقوفِها معَ المعلّمةِ لأنَّ سناء لنْ تسامحني أبدًا.

وفجأةً، سادَ الهدوءُ التّامُّ في الصّفِّ تحسّبًا لما ستقولهُ

المعلّمةُ وصديقتي الجديدةُ رغدة.

قالتِ المعلّمةُ: "طلبتْ منّي رغدة الإذنَ كيْ تعرّفكنَّ على نفسِها بما أنّها جديدةٌ في المدرسةِ. أرجو أنْ تسمعنها جيّدًا، وبعدَ أنْ تنهيَ كلامها أريدُ أنْ نناقشَ الموضوعَ معًا."

تنحنحتْ رغدة ثمَّ قالتْ بصوتٍ واضحٍ: "أنا أعرفُ أنَّ كلَّ واحدةٍ في الصّفِّ سألتْ نفسَها: لماذا ترتدي رغدة هذهِ القبّعةَ كلَّ الوقتِ؟"

ضحكتِ البناتُ وهززنَ رؤوسهنَّ موافقاتٍ.

صاحتْ إحداهُنَّ: "نعمْ... نعمْ، لماذا؟"

أكملتْ رغدة قائلةً: "في الحقيقةِ السّببُ هوَ... أنّني أصبتُ بمرضِ السّرطانِ."

خيّمَ الصّمتُ على الصّفِّ لولا شهقاتٌ واضحةٌ منْ بعضِ البناتِ.

قالتِ المعلّمةُ بقلقٍ: "هلْ تريدينَ أنْ أتكلّمَ عنكِ يا رغدة؟"
ابتسمتْ رغدة وهزَّتْ رأسَها قائلةً: "لا... لا أنا أريدُ أنْ
أتحدَّثَ يا معلّمتي." صمتتْ رغدة للحظاتٍ ثمَّ تنحنحتْ



وأكملتْ حديثَها: "أُصبتُ بهذا المرضِ قبلَ عامٍ تقريبًا. ولحسنِ الحظِّ اكتشفَ الأطبّاءُ المرضَ باكرًا، وبدأتُ العلاجَ في الحالِ، وأنا الآنَ على طريقِ الشّفاءِ."

تنهّدتْ بعضُ البناتِ بارتياحٍ وتمتمنَ: "الحمدُ للهِ... الحمدُ للهِ."

أكملتْ رغدةُ قائلةً: "ولكنَّ الدّواءَ الّذي يجبُ عليَّ أنْ آخذهُ قويٌّ جدًّا، ويُعرفُ بالعلاجِ الكيماويِّ، ومنْ مضاعفاتهِ أنَّ المريضَ يفقدُ شعرَهُ كلّهُ. لقدْ كانَ عليَّ أنْ أختارَ غطاءً للرّأسِ، فاخترتُ هذهِ القبّعةَ الّتي حاكتْها لي أمّي خصّيصًا منْ خيوطٍ قطنيّةٍ ناعمةٍ خاصّةٍ؛ لأنّها تُدْخِلُ الهواءَ إلى رأسي ولا تسبّبُ الحكّةَ مثلَ باقي الأغطيةِ الّتي جرّبتها."

ثمَّ أضافتْ ضاحكةً: "ولكنْ لحسنِ الحظِّ أنَّ الصّلعَ حالةٌ مؤقّتةٌ، وسيعودُ شعري لحالتهِ الطبيعيّةِ بلْ أقوى وأحلى."

فجأةً، سمعنا بكاءً وشهيقًا يأتي منْ آخرِ الغرفةِ، وكمْ كانتْ دهشتي شديدةً عندما اكتشفتُ أنَّ سناء هيَ الّتي تبكي، ووقفتْ تقولُ: "لمْ أعرفْ... واللهِ لمْ أعرفْ... أنا آسفةٌ! أنا آسفةٌ! ولكنْ لماذا لمْ تخبرينا حتّى الآنَ؟"

ثمَّ نظرتْ إليَّ بغضبٍ قائلةً: "وأنتِ يا زينب، لماذا لم تقولي أيَّ شيءٍ؟"

قالتْ رغدة: "في الحقيقةِ بدأتُ أخبرُكنَّ في السّاحةِ. هلْ تذكرينَ يا سناء عندما سألتني عنْ سببِ ارتدائي هذهِ القبّعةِ؟ وقتَها بدأتُ أجيبُ على سؤالكِ ولكنَّ الجرسَ دقَّ ولم أُكملْ ما كنتُ أنوي قولهُ."

صاحتْ سناء: "ولكنْ لماذا لمْ تخبرينا بعدها أو في اليومِ التّالي؟"

قالتْ رغدة: "السّببُ الّذي منعني منْ إخباركنَّ في أوّلِ يومٍ هوَ أنّني جديدةٌ في هذهِ المدرسةِ، وأردتُ أنْ

تعرفنني كرغدة الّتي تحبُّ ما تحبُّ وتكرهُ ما تكرهُ. لمْ أُرِدْ أنْ أكونَ بنظركنَّ فقط "البنتَ المصابةَ بالسّرطانِ" فأنا لا أريدُ معاملةً خاصّةً وكأنّني منْ كوكبٍ آخرَ، ولا أحبُّ أبدًا أنْ يُشفقَ عليَّ أحدٌ ويقولَ حرام رغدة... حرام؛ لذلكَ طلبتُ منَ المعلّماتِ والمديرةِ أنْ يمنحنني بعضَ الوقتِ لأتعرّفَ عليكنَّ قبلَ أنْ أصارحكنَّ."

وهنا تدخّلتِ المعلّمةُ قائلةً: "هذا موضوعٌ مهمٌّ جدًّا. وأحبُّ أنْ نقضيَ بقيّةَ الحصّةِ في مناقشتِهِ."

وتوالتِ الأسئلةُ على رغدة والمعلّمَةِ: "هلْ هوَ مُعْدٍ؟"

قالتِ المعلِّمةُ: "طبعًا لا."

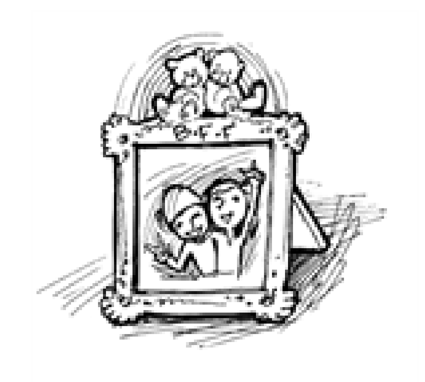
سألتْ أُخرى: "كيفَ يصيبُ السّرطانُ الأطفالَ؟ ما سببُ مرضِ السّرطانِ؟" ثمَّ تحدّثتْ أكثرُ منْ طالبةٍ عنْ جارٍ أوْ قريبٍ لها أُصيبَ بهذا المرضِ.

وانتهتِ الحصّةُ والأسئلةُ لمْ تنتهِ بعدُ.

وفي الفسحةِ، التفّتِ البناتُ حولَ رغدة، كلٌّ واحدةٍ تعرضُ عليها صداقتها. شكرتْ رغدة البناتِ بحرارةٍ، ثمَّ بحثتْ بنظرِها عنّي وابتسمتْ لي ابتسامةً عريضةً. أسرعتْ نحوي وهيَ تقولُ: "زينب، سوفَ أموتُ منَ الجوعِ. تعالَيْ نشترِ "سندويش" فلافل قبلَ أنْ يدقَّ جرسُ الحصّةِ."



8



أفضلُ صديقاتٍ

ومرّتِ الأيّامُ، واستقرّتْ رغدةُ في المدرسةِ. كانتْ تمازحُ الجميعَ وتساعدُ كلَّ منْ يطلبُ منها المساعدةَ خصوصًا في حلِّ مسائلِ الرياضيّاتِ الّتي كانتْ تحلّها بسرعةٍ فائقةٍ وبسهولةٍ، فتغيظني عندما تنظرُ إلى مسألةٍ أكونُ قدْ قضيتُ ساعاتٍ أعاني في حلّها، وتقولُ بكلِّ برودٍ:

"بسيطةٌ يا زينبُ. ما عليكِ إلّا أنْ تفعلي كذا... وكذا."
وبعدها تفسّرُ لي طريقةَ الحلِّ.
أصبحنا أنا ورغدة لا نفترقُ أبدًا حتّى اشتهرْنا في الصّفِّ "بالثّنائيِّ المرحِ".
وعندما تعودُ كلٌّ واحدةٍ منّا إلى بيتِها نستمرُّ في التّواصلِ عنْ طريقِ الدّردشةِ "التشات"، أوْ نرسلُ رسائلَ إلى بعضِنا على الهاتفِ النقّالِ.
كنتُ أحبُّ الذّهابَ إلى بيتِها؛ فأمّها لطيفةٌ جدًّا، وكانتْ تخبزُ لنا دائمًا أطيبَ الكعكاتِ. أمّا أخوها سالم فهوَ لطيفٌ أيضًا ولكنّهُ لا يتكلّمُ كثيرًا. كان كلّما ذهبْتُ إلى بيتِهِمْ يسلّمُ عليَّ بسرعةٍ ويختفي.
وفي يَومٍ منَ الأيّامِ، دخلتْ أمّي غرفتي وعندما رأتني أتحدّثُ بالهاتفِ كعادتي تأفّفتْ قائلةً: "غيرُ معقولٍ يا زينب! غيرُ معقولٍ! أنتِ كلَّ الصّباحِ معَ رغدة في

المدرسةِ. ما لزومُ الحديثِ الآنَ؟ تعالَيْ لتساعدي أحمد في دروسِهِ، عندَهُ امتحانُ إملاءٍ غدًا."

قلتُ لأمّي: "سآتي حالاً بعدَ أنْ أنتهيَ منَ المكالمةِ."

قلتُ لرغدة ضاحكةً: "اسمعي يا رغدة، عليَّ أنْ أنهيَ المكالمةَ الآنَ؛ فقدْ بدأتْ أمّي تزمجرُ."

جلستُ بالقربِ منْ أحمد الّذي قالَ متذمّرًا: "لقدْ حفظتُ الإملاءَ جيّدًا وانتهيتُ منْ كلِّ واجباتي وصارَ موعدُ التّلفازِ."

صرختُ قائلةً: "ماما! أحمد يقولُ إنّهُ أنهى كلَّ دروسِهِ، ويريدُ أنْ يشاهدَ التّلفازَ."

مدّت أمّي رأسَها منَ البابِ وقالتْ بحزمٍ لأحمد: "لا يُسمحُ لكَ بمشاهدةِ التّلفازِ حتّى تنتهيَ منْ كتابةِ الإملاءِ معَ أختكَ." هزَّ أحمدُ رأسهُ مستسلمًا وقالَ: "هيّا يا زينب! بسرعةٍ نقّليني الإملاءَ."

فتحتُ كتابَ اللّغةِ العربيّةِ وبدأتُ أقرأُ لهُ كلماتِ الإملاءِ حتّى يكتبَها. وحمدتُ ربّي أنَّ إجاباتِ أحمد كلَّها صحيحةٌ وأنَّنا انتهينا منَ الإملاءِ بسرعةٍ.

قفزَ أحمد منْ مكانهِ قائلاً: "أرأيتِ؟ ألمْ أقلْ لكِ إنّني حفظتُ الإملاءَ." وأسرعَ ليفتحَ جهازَ التّلفازِ.

بعدَ قليلٍ، رنَّ جرسُ الهاتفِ، أسرعتُ لأردَّ وكمْ سعدتُ عندما سمعتُ صوتَ أبي.

صحتُ قائلةً: "بابا! كيفَ حالكَ؟ واللهِ اشتقنا إليكَ."

ركضَ أحمد، وصارَ ينطُّ محاولاً أخذَ الهاتفِ منّي وهوَ يقولُ: "أريدُ أنْ أتحدّثَ معَ بابا. يا زينب دوري الآنَ! دوري الآنَ!"

وأسرعتْ أمّي أيضًا لتتحدّثَ معهُ بدورها. أردتُ أنْ أخبرَ أبي عنْ صديقتي الجديدةِ وعنْ أخباري، ولكنَّ أحمدَ كانَ مُلِحًّا فقلتُ لهُ: "سوفَ أرسلُ لكَ "إيميل" يا بابا."

أعطيتُ الهاتفَ لأحمد وأنا أقولُ لهُ: "صحيح إنّك بارد، يا أحمد انتظرْ قليلاً، لمْ أتحدّثْ بعدُ معَ أبي."

عدتُ إلى غرفتي وأنا أسمعُ أحمد يقولُ: "ومتى ستحضرُ إلى عمّانَ يا بابا؟ لا تنسَ أنْ تحضرَ لي الهديّةَ الّتي وعدتني بها."



9



شعورٌ بالإحباطِ

ومضتِ الأيّامُ والأسابيعُ، وأصبحنا أنا ورغدة أفضلَ الأصدقاءِ. كانتْ رغدة تحبُّ المزاحَ والضحكَ، ولا تحبُّ أنْ تتكلَّمَ عنْ مرضها كثيرًا. لكنّها كانتْ في بعضِ الأحيانِ تنزوي وحدها ولا تردُّ على مكالماتي، وعندما ينشغلُ بالي عليها أذهبُ لزيارتها فتقولُ لي أمّها إنّها

في غرفتها تقرأُ.

حدثَ أنِ انقطعتْ أخبارها عنّي لمدّةِ ثلاثةِ أيّامٍ؛ فذهبتُ لزيارتها ووجدتها في غرفتها تستمعُ إلى الموسيقى العاليةِ. دققتُ على البابِ ودخلتُ. كانتْ غرفتها معتمةً وهيَ مستلقيةٌ في سريرها.

قلتُ لها بانفعالٍ: "ما بكِ يا رغدة؟ لماذا لا تردّينَ على مكالماتي؟ لقدِ انشغلَ بالي عليكِ." وأسرعتُ لأفتحَ السّتائرَ ليدخلَ النّورُ غرفتَها.



ولكنَّ رغدة صرختْ: "لا! لا أريدُ الضّوءَ! أرتاحُ أكثرَ في الظّلمةِ."

مدّتْ أمُّ رغدة رأسها منْ بابِ الغرفةِ وقالتْ: "آه، أقنعيها يا زينب، إنّها ترفضُ حتّى مغادرةَ الغرفةِ. باللهِ عليكِ خذيها في مشوارٍ فهيَ على هذهِ الحالةِ منذُ عدّةِ أيّامٍ."

أدارتْ رغدة رأسها وقالتْ: "لا أريدُ مشوارًا!"

قلتُ لها: "إذًا ماذا تريدينَ؟ قولي لي. ألستُ صديقتكِ؟"

وما كانَ منْ رغدة إلّا أنِ انخرطتْ في البكاءِ، وكانتْ هذهِ أوّلَ مرّةٍ أرى فيها رغدة بهذهِ الحالةِ.

خفتُ عليها وأسرعتُ أحضنها وأقولُ: "ما بكِ؟ ما بكِ؟ قولي لي... أنا صديقتكِ."

قالتْ رغدة بصوتٍ منخفضٍ: "قبلَ يومينِ، هاتفتُ صديقةً تعرّفتُ عليها في المستشفى اسمها جنان، كانتْ ترقدُ في السّريرِ الّذي بجانبي. ردّت عليَّ أمّها وقالتْ

لي إنّها عادتْ إلى المستشفى. أخشى أنْ تكونَ حالتها خطرةً."

ولأوّلِ مرّةٍ حكتْ لي رغدة عنْ صعوبةِ العلاجِ وعنِ الألمِ والمعاناةِ الّتي مرّتْ بها. شعرتُ بالحزنِ والضّيقِ ولمْ أعرفْ ما أقولُ لأخفّفَ عنها.

في تلكَ اللّحظةِ دقَّ جرسُ البابِ وسمعنا أمَّ رغدة وهيَ تقولُ: "أهلاً مرام! كيفَ حالكِ؟ تفضّلي! واللهِ لقدْ جئتِ في الوقتِ المناسبِ."

سألتُ رغدة: "منْ مرام؟"

أجابتْ بسرعةٍ وعصبيّةٍ: "إنّها المستشارةُ النّفسيّةُ في المركزِ."

وماهيَ إلاّ لحظاتٌ حتّى كانتْ مرام في الغرفةِ. حضنتْ مرام رغدة وهيَ تقولُ: "ما القصّةُ يا رغدة؟ أخبرتني أمّكِ أنَّ هناكَ ما يزعجكِ هذهِ الأيّامَ. ألمْ

أطلبْ منكِ يا عزيزتي أنْ تكلّميني كلّما شعرتِ بما يضايقكِ."

بدأتُ بالانسحابِ من الغرفةِ وأنا أقولُ: "يجبُ أنْ أعودَ إلى البيتِ."

ولكنَّ مرام قالتْ: "أنتِ زينب، أليسَ كذلكَ؟ لقدْ حدّثتني رغدة عنكِ كثيرًا وأحبُّ لو تبقيْنَ معنا إذا استطعتِ."

قالتْ رغدة وهيَ تشدُّ على يدي: "ابقيْ يا زينب!"



جلستُ بالقربِ منْ رغدة أستمعُ لما تقولهُ مرام الّتي دخلتْ مباشرةً في الموضوعِ قائلةً: "منَ الطّبيعيِّ يا رغدة أنْ تشعري ببعضِ الإحباطِ والحزنِ أحيانًا؛ فإنَّ ما مررتِ بهِ لمْ يكنْ سهلاً، ولكنْ عليكِ أنْ تتذكّري دائمًا أنّكِ منَ المحظوظينَ. احتمالُ الشّفاءِ التّامِّ في مثلِ حالتكِ كبيرٌ جدًّا، وإنْ شاءَ اللهُ سوفَ تُشْفَيْنَ منَ المرضِ تمامًا."

قالتْ رغدة: "أعرفُ... ولكنّني أحيانًا أشعرُ بالحزنِ والغضبِ الشّديدِ وأتساءلُ: لماذا أصابني هذا المرضُ وأنا ما زلتُ صغيرةً؟ لماذا أنا؟ لماذا؟"

وانخرطتْ رغدة في البكاءِ.

قالتْ مرام: "هذهِ مشيئةُ اللهِ يا عزيزتي، لقدْ مررتِ بمراحلَ أصعبَ وتغلّبتِ عليها، وكنتِ حقًّا بطلةً. والآنَ، عليكِ أنْ تعودي إلى برامجِ حياتكِ العاديّةِ وأصدقائكِ،

وطبعًا عليكِ أنْ تتابعي العلاجَ."

مسحتْ رغدة دموعها وقالتْ: "ولكنْ، جنان...
ما أخبارها؟"

قالتْ مرام: "لا تقلقي على جنان يا رغدة؛ فهيَ بخيرٍ. كنتُ معها البارحةَ وقدْ سألتْ عنكِ. لقدِ احتاجتْ إلى مزيدٍ منَ العلاجِ، وسوفَ تغادرُ المستشفى قريبًا. ما رأيكِ لوْ تذهبينَ لزيارتها، أنتِ وزينب، بعدَ أنْ تعودَ إلى بيتها؟"

هزّتْ رغدة رأسها وقالتْ بصوتٍ منخفضٍ: "إنْ شاءَ اللهُ."

تابعتْ مرام حديثها: "والآنَ، أخبريني عنْ مدرستكِ الجديدةِ."

أخبرتْ رغدة مرام عنْ بناتِ الصّفِّ وعنِ المعلّماتِ وعنْ أخبارها الأُخرى.

وفي آخرِ الزّيارةِ، عادتْ رغدة تضحكُ وتمزحُ، واتّفقنا على الذّهابِ للتّسوّقِ في عطلةِ نهايةِ الأسبوعِ، وعلى زيارةِ جنان في بيتها.

10



سالم ينقذُ الموقفَ

انشغلنا بالدّراسةِ والتّحضيرِ لامتحاناتِ الشّهريْنِ واتّفقتُ معْ رغدة وسناء على الذّهابِ إلى المجمّعِ التّجاريِّ الكبيرِ "المول" بعدَ الانتهاءِ منها.

في آخرِ يومٍ للامتحاناتِ قلتُ لرغدة: "وأخيرًا انتهينا منَ الامتحاناتِ، ولكنَّ أسئلةَ الرّياضيّاتِ كانتْ صعبةً."

قـالتْ رغدة ضـاحكـةً: "أبدًا... أبدًا... بلْ كـانتْ سهلـةً."

قلتُ لرغدة بعصبيّةٍ: "طبعًا يا ستّ رغدة، كلُّ الموادِّ عندكِ سهلةٌ."

ضحكتْ رغدة وقـالتْ: "الامتحـانـاتُ انتهتْ. المهمُّ أينَ نذهبُ اليومَ بعدَ المدرسةِ؟ هلْ نذهبُ إلى المجمّعِ التّجاريِّ كمـا اتّفقنـا؟"

قـالتْ سنـاء: "فكرةٌ جيّدةٌ، نلتقي أنـا ومنيرة بكمـا في المجمّعِ السّـاعةَ الخـامسةَ عندَ البوّابـةِ الرّئيسيّـةِ."

بعدَ العودةِ منَ المدرسةِ، غيّرتُ ملابسي ولبستُ التّنّورةَ الجديدةَ الّتي أحضرهـا لي أبي منْ دبيّ في آخرِ زيـارةٍ لـه لعمّـانَ، وقميصًا زهريَّ اللّونِ.

نظرتُ في المرآةِ وابتسمتُ لنفسي، وسرعـانَ مـا عبستُ عندمـا رأيتُ حبّـةً صغيرةً حمراءَ على خدّي الأيسرِ. أفّ... كمْ هـيَ مزعجةٌ هذهِ الحبّـةُ!

غيّرتُ تسريحةَ شعري، ففي المدرسةِ كنتُ دائمًا أربطُ شعريَ الطّويلَ ربطةَ "ذيلِ الحصانِ" ولكنّني اليومَ قرّرتُ أنْ أتركهُ ينسدلُ على كتفي.

قلتُ لأمّي مودّعةً: "معَ السّلامةِ يا ماما! منَ الممكنِ أنْ نذهبَ للتّسوّقِ في المجمّعِ التّجاريِّ ونقابلَ سناء ومنيرة هناكَ."

قالتْ أمّي: "عظيمٌ، ولكنْ لا تتأخّرنَ."

ضغطتُ على زرِّ المصعدِ، وعندما تأخّرَ حضورهُ دققتُ على البابِ بشدّةٍ لعلَّ أحدًا أخّرهُ، ولكنْ يبدو أنّهُ كانَ معطّلاً كالعادةِ.

نزلتُ على الدّرجِ بخفّةٍ. في ردهةِ العمارةِ كانَ الحارسُ، أبو عليٍّ، يحملُ أكياسًا لجارتنا، أمّ محمد، وهيَ سيّدةٌ كبيرةٌ تعتمدُ عليهِ في كلِّ احتياجاتها.

قلتُ لهُ: "مرحبًا يا عمّ أبا عليّ، لا تتعبْ نفسكَ يبدو أنَّ

المصعدَ معطّلٌ."

قالَ أبو عليٍّ ضاحكًا: "لا تهتمّي يا ستّ زينب، سأتّصلُ بالشّركةِ في الحالِ."

مشيتُ إلى بيتِ رغدة بخطىً سريعةٍ فهوَ يبعدُ عنْ بيتنا بعمارتيْنِ. ولكنْ بالقربِ منْ عمارةِ رغدة كانَ يقفُ يوسف معَ شلّتهِ.



يعيشُ يوسف في آخرِ الشّارعِ معَ جدّتهِ، وهوَ دائمُ التّنقّلِ منْ مدرسةٍ إلى مدرسةٍ لسوءِ تصرّفهِ، ويحاولُ دائمًا أنْ يتحدّثَ ويمزحَ معنا وأنْ يظهرَ بمظهرِ البطلِ أمامَ أصدقائهِ، ولكنّنا، أنا وصديقاتي، نجدهُ ثقيلَ الدّمِ ولا نعيرهُ أيَّ اهتمامٍ.



وطبعًا ما إنْ رآني حتّى بدأَ يتبختَرُ أمامَ أصحابهِ ويقولُ: "زينب! اسمكِ زينب، أليسَ كذلكَ؟ إلى أينَ أنتِ ذاهبةٌ؟ يسلمْ لي الزّهري!" وصارَ يضحكُ هوَ وأصحابهُ ووقفَ أمامي.

صرختُ في وجههِ قائلةً: "ابتعدْ عنْ طريقي! صحيحٌ أنّكَ قليلُ الأدبِ."

وفي تلكَ اللّحظةِ، خرجَ سالم، أخو رغدة، منْ بابِ عمارتهم، وبنظرةٍ واحدةٍ فَهِمَ ما يحصلُ؛ فأسرعَ غاضبًا وهوَ يقولُ: "ابتعدْ يا يوسف عنْ بناتِ النّاسِ وإلّا أدّبتكَ."

صرخَ يوسف بغضبٍ: "تؤدّبني! لمْ يخلقْ بعدُ منْ يؤدّبني!" وبدأَ الاثنانِ يتعاركانِ. لحسنِ الحظِّ فرّقَ الشّبابُ يوسف وسالم وعدنا، أنا وسالم، إلى البيتِ.

أخبرتُ رغدة بما حصلَ وشكرتُ سالم لأنّه ساندني.

نظرَ إليَّ سريعًا وتمتمَ ببعضِ الكلماتِ ثمَّ قالَ لي: "إذا ضايقكِ هؤلاءِ الزُّعرانُ مرّةً ثانيةً أخبريني؛ فأنا أعرفُ كيفَ أتصرّفُ معهم."

بدأتُ أنظرُ إلى سالم نظرةً جديدةً. هوَ يكبرني بعامٍ واحدٍ فقط، ولكنّني اليومَ شعرتُ أنّهُ أكبرُ منّي بكثيرٍ، وفرحتُ لأنّهُ تدخّلَ كيْ يدافعَ عنّي.

أوصلنا "التّاكسي" إلى المجمّعِ، وهناكَ التقيْنا سناء ومنيرة عندَ البوّابةِ الرئيسيّةِ.

أسرعنا ندخلُ المجمّعَ التّجاريَّ ونحنُ نضحكُ ونمازحُ بعضنا بعضًا.

صرنا نتمشّى في المجمّعِ وننظرُ إلى نوافذِ المحلّاتِ، نشيرُ إلى ما يعجبنا ونتمنّى لوْ كانَ عندنا ما يكفي منَ النّقودِ لشراءِ هذهِ الملابسِ والأحذيةِ الجميلةِ.

وأحيانًا، كنّا ندخلُ المحلّاتِ ونقيسُ الملابسَ أوِ

الأحذيةَ الّتي نالتْ إعجابنا لعلّنا نقنعُ أهلنا بشرائها لنا. نقيسُ... ونقيسُ... ونغضِبُ البائعينَ عندما نخرجُ دونَ شراءِ أيِّ قطعةٍ.

بعدَ أنْ تعبنا وانتهينا منَ اللّفِ والدّورانِ، جلسنا في منطقةِ الطّعامِ في المجمّعِ، وطلبنا بيتزا كبيرةً تشاركنا في أكلها. عدنا بعدها إلى البيتِ.



11



حلمٌ يتحقّقُ

دقَّ جرسُ البابِ. أسرعتُ لأفتحَ، فوجئتُ برغدة وأمّها.
كنتُ أعرفُ أنَّ لدى رغدة موعدًا في المستشفى، وها هيَ الآنَ تقفُ على البابِ. أرجو أنْ يكونَ كلُّ شيءٍ على ما يرامُ. نظرةٌ واحدةٌ سريعةٌ على وجهها طمأنتني.
قلتُ: "تفضّلي يا خالةُ، تفضّلي يا رغدة. أهلاً بكما."

ثمَّ قلتُ بصوتٍ عالٍ: "ماما! إنّها الخالةُ أمُّ سالم معَ رغدة."

قالتْ أمّي: "يا أهلاً وسهلاً!" وأسرعتْ ترحّبُ بأمِّ سالم وتدخلها إلى غرفةِ الجلوسِ.

قلتُ لرغدة: "ماذا حصلَ يا رغدة؟ يبدو أنّكِ متحمّسةٌ لشيءٍ ما! قولي لي، ما هوَ؟"

دخلنا إلى غرفتي وجلسنا نتحدّثُ.

قالتْ رغدة: "عندي أخبارٌ ممتازةٌ ولم أستطعِ الانتظارَ لأطلعكَ عليها، فأقنعتُ أمّي أن نتوقّفَ عند بيتكمْ حتّى أخبركِ بها."

صحتُ بحماسٍ: "حتّى تخبريني بماذا؟ هيّا! هيّا أخبريني بسرعةٍ!"

قالتْ رغدة: "القصّةُ وما فيها، أنّهُ عندما كنتُ أتعالجُ في المستشفى، حضرتْ فتاةٌ لطيفةٌ متطوّعةٌ منْ جمعيّةٍ

اسمها "حقّقْ حلمك"، وطلبتْ منّي أنْ أكتبَ على ورقةٍ ما هوَ الحلمُ الّذي أحبُّ لوْ يتحقّقُ، فأخبرتها عنهُ وكتبتهُ ونسيتُ الموضوعَ تمامًا، ولكنْ ها هوَ سيتحقّقُ."

صحتُ: "ما هوَ الّذي سيتحقّقُ يا رغدة؟ فسّري أكثرَ، واللهِ أنا لا أفهمُ أيَّ شيءٍ."

قالتْ رغدة: "شاهدتُ فيلمًا وأنا صغيرةٌ عنْ رحلةٍ حولَ العالمِ بمنطادٍ، لا أدري ما الّذي ذكّرني بهذا الفيلمِ وأنا في سريري في المستشفى؟ فكتبتُ أنَّ حلمي هوَ الطّيرانُ حولَ العالمِ بمنطادٍ. كنتُ أظنُّ أنَّ مثلَ هذهِ المناطيدِ موجودةٌ في الأفلامِ فقطْ، ولكنْ يبدو أنَّ هناكَ مناطيدَ في الأردنِّ في منطقةِ "وادي رم"، وقدِ استلمتُ اليومَ دعوةً منَ الجمعيّةِ لتحقيقِ حلمي، كما طلبوا منّي أيضًا أنْ أختارَ شخصيْنِ ليرافقاني في الرّحلةِ فاخترتكِ أنتِ وسالم."

صحتُ: "منطادٌ حقيقيٌّ! حقيقيٌّ!"

قالتْ رغدة ضاحكةً: "نعمْ حقيقيٌّ، حقيقيٌّ ولكنْ لنْ يطيرَ بنا المنطادُ حولَ العالمِ كما طلبتُ بل سيطيرُ بنا فوقَ "وادي رم" فقط، وقد جاءتْ أمّي معي كيْ تطلبَ من والدتكِ الإذنَ بأنْ ترافقينا في هذهِ الرّحلةِ الرّائعةِ."

قلتُ: "متى؟ متى سنذهبُ؟"

قالتْ رغدة: "الأسبوعَ القادمَ، في عطلةِ نهايةِ الأسبوعِ."

وافقتْ أمّي على أنْ أرافقَ رغدة في هذهِ الرّحلةِ، ولكنْ عندما سمعَ أحمد عنِ الرحلةِ صارَ يبكي قائلاً: "لماذا لا أذهبُ أنا أيضًا معكمْ؟ أنا أحبُّ أنْ أطيرَ بالمنطادِ."

قضينا ساعةً ونحنُ نحاولُ أنْ نلهيهُ عنِ الموضوعِ، ولحسنِ الحظِّ جاءَ صديقهُ رامز ليلعبَ معهُ ونسيَ الأمرَ. في تلكَ اللّيلةِ، ذهبتُ إلى فراشي وأنا أتطلّعُ إلى هذهِ الرّحلةِ وأفكّرُ في الملابسِ الّتي سآخذها معي.

أسعدني أنَّ سالم سيأتي معنا، فمنذُ أنْ دافعَ عنّي صرتُ أشعرُ بالقربِ منهُ أكثرَ، كما تغلّبَ هوَ على خجلهِ منّي وصارَ يمازحني ويرافقنا أنا ورغدة أحيانًا لحضورِ فيلمٍ سينمائيٍّ أو لتناولِ الغداءِ في المطعمِ.

12



اليومُ المنتظرُ

وأخيرًا جاءَ اليومُ المنتظرُ للرّحلةِ. في الصّباحِ الباكرِ، أوصلتنا أمُّ رغدة إلى مجمّعِ الباصاتِ، وهناكَ كانَ في لقائنا ثلاثةُ متطوّعينَ منْ طلّابِ الجامعةِ، رشا وياسمين وعبد الله.

تذكّرتْ رغدة رشا منَ المستشفى وعانقتها طويلاً، أمّا



ياسمين فقالتْ ممازحةً: "أعرّفكمْ بنفسي. أنا ياسمين، المصوّرةُ الرّسميّةُ للرّحلةِ."

ابتسمَ عبد الله وهوَ يقولُ: "ستكونُ رحلةً رائعةً إنْ شاءَ اللهُ."

فرحَ سالم عندما عرفَ أنَّ عبد الله يدرسُ في كليّةِ الهندسةِ في الجامعةِ الأردنيّةِ، فجلسَ بجانبهِ وصارَ يمطرهُ بالأسئلةِ؛ لأنَّ هذا هوَ التّخصّصُ الّذي يحبّهُ

ويتمنّى أنْ يحصلَ على علاماتٍ تؤهّلهُ لدراستهِ.

قالتْ رشا: "أفضلُ وقتٍ لركوبِ المنطادِ هوَ في ساعاتِ الصّباحِ الباكرِ وذلكَ لأنَّ الرّياحَ تكونُ لطيفةً؛ لذا منَ الأفضلِ أنْ نقضيَ اللّيلةَ في المخيّمِ."

صِحتُ وأنا أشدُّ على يدِ رغدةَ: "مخيّمٌ! ستكونُ مغامرةً بحقٍّ. هذهِ أوّلُ مرّةٍ في حياتي أنامُ فيها في مخيّمٍ."

كانتِ الرِّحلةُ بالباصِ طويلةً، ولكنّنا أمضينا الوقتَ بالاستماعِ إلى الموسيقى ولعبِ بعضِ الألعابِ المسلّيةِ على جهازِ هاتفِ سالم.

وأخيرًا وصلنا إلى محطّةِ الباصاتِ، حيثُ وجدنا سيّارةً حمراءَ كبيرةً بانتظارِنا. مشتْ بنا السّيّارةُ مسافةً طويلةً في طرقٍ وعرةٍ، ومنْ بعيدٍ بعيدٍ، رأينا استراحةَ المخيّمِ، وقدْ بانتْ لنا كأنّها سرابٌ سيختفي عندما نقتربُ منهُ. ولكنْ منْ حسنِ حظّنا أنَّ الاستراحةَ لمْ تختفِ، فقدْ كنّا

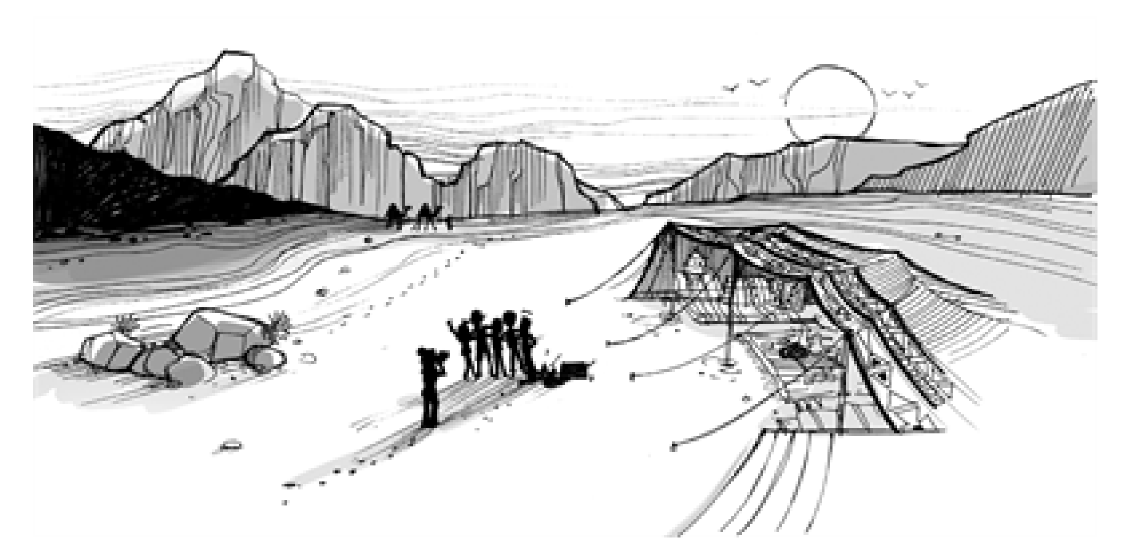
متعبينَ منْ هذهِ الرّحلةِ الطّويلةِ.
باشرتْ ياسمين بأخذِ صورٍ للمكانِ وصورٍ لنا ونحنُ نُنزلُ أمتعتنا.
كانَ في الاستراحةِ أنواعٌ مختلفةٌ منَ الخِيَمِ لمنْ يحبُّ التّخييمَ، وكانَ هناكَ أيضًا كبيناتٌ خاصّةٌ تشبهُ غُرَفَ الفنادقِ.
تشاركنا، أنا ورغدة ورشا وياسمين، في كبينةٍ كبيرةٍ بغرفتيْنِ. أمّا عبدالله وسالم فأخذا كبينةً ثانيةً قريبةً منّا.
تنهّدتْ رشا وقالتْ: "آخ... آآآخ، أشعرُ وكأنَّ كلَّ عظمةٍ في جسدي تخلخلتْ منْ هذهِ الرّحلةِ الطّويلةِ، سآخذُ حمّامًا منعشًا وأرتاحُ قليلاً."
وافقتْ ياسمين قائلةً: "نعمْ، دعونا نأخذُ قسطًا منَ الرّاحةِ حتّى نخرجَ قبلَ غروبِ الشّمسِ. أحلى الصّورِ

الفوتوغرافيّةِ تُلتقطُ في ذلكَ الوقتِ."

قالتْ رغدة وهيَ تقضمُ تفّاحةً: "فكرةٌ جيّدةٌ، وبعدَها سنتناولُ وجبةَ العشاءِ، أليسَ كذلكَ؟ واللهِ بدأتُ أشعرُ بالجوعِ."

قلتُ: "وأنا أيضًا يا رغدة بدأتُ أشعرُ بالجوعِ. أعطيني قطعةً من تفّاحتكِ."

قالتْ ياسمين ضاحكةً: "يا جماعةُ، لا تخافوا سيكونُ هناكَ عشاءٌ رائعٌ في الخيمةِ." ثمَّ نبّهتنا إلى ضرورةِ



التّحدّثِ معْ أهلنا وطمأنتهمْ علينا.

خرجنا منَ الغرفةِ قبلَ غروبِ الشّمسِ. كانتِ المناظرُ حقًّا رائعةً، وطبعًا لمْ تتوقّفْ ياسمين عنْ أخذِ الصّورِ وهيَ توجّهنا وتقولُ: "توقّفوا هنا... لا... لا... هناكَ... لا تتحرّكوا... اضحكوا... اقتربوا منْ بعض... ابتعدوا قليلاً."

صاحَ عبد الله محتجًّا: "يكفي يا ياسمين! يكفي! ضجرنا منْ كثرةِ التّصويرِ. أنا جوعانٌ، أشمُّ رائحةَ الشّواءِ، سأتركُ أنفي يدلّنا على خيمةِ الطّعامِ."

ضحكتْ رشا وقالتْ: "نعم يا عبد الله، أنفكَ الطّويلُ سيدلّنا."

كانَ العشاءُ في خيمةٍ بدويّةٍ كبيرةٍ امتلأتْ بطلّاب مدارسَ منْ مناطقَ مختلفةٍ. استمتعنا بأكلِ اللّحمِ المشويِّ، والاستماعِ إلى الموسيقى البدويّةِ، وشاركَ

الجميعُ في رقصِ الدّبكةِ.

كانَ منَ الظّريفِ رؤيةُ سالم يشاركُ في الدّبكةِ بعدَ تردّدٍ، فقدْ ظلَّ عبد اللهِ يحاولُ إقناعهُ دونَ مللٍ حتّى نجحَ.

وبعدَ مدّةٍ تحمّستْ ياسمين ورشا وجذبتانا لنرقصَ أيضًا. شعرْنا بالخجلِ لأنّنا لمْ نعرفْ خطواتِ الدّبكةِ ولكنّنا حاولنا جهدَنا وحفظنا الخطواتِ بسرعةٍ وضحكنا كثيرًا.



كانتْ سهرةً ممتعةً أحببنا لوْ تطولُ، ولكنْ كانَ علينا أنْ ننامَ باكرًا لأنَّ رحلةَ المنطادِ ستكونُ في السّاعةِ السّادسةِ صباحًا.

بعدَ العشاءِ والسّهرةِ في الخيمةِ، حملنا فوانيسَ خاصّةً وفّرها لنا المخيّمُ ومشينا باتّجاهِ منطقةِ الكبيناتِ.

كانَ الظّلامُ دامسًا والنّجومُ تتلألأُ وتملأُ السّماءَ... لمْ أرَ في حياتي النّجومَ بهذا الوضوحِ والجمالِ.

فجأةً، كسرَ سكونَ اللّيلِ صوتٌ عالٍ مرعبٌ جعلني أقفزُ منْ مكاني وأتمسّكُ برشا وأقولُ: "ما هذا؟ ما هذا؟ هلْ هناكَ حيواناتٌ مفترسةٌ في الصّحراءِ؟"

قالتْ ياسمين ضاحكةً: "لا تخافوا، هذهِ كلابٌ صحراويّةٌ ينادي بعضها بعضًا فيتعاظمُ صوتها في سكونِ اللّيلِ."

ووووو ووووو ووووو... علا صوتُ الكلابِ مرّةً أخرى وشعرتُ وكأنّها تقتربُ منّا أكثرَ وأكثرَ.

شددتُ على يدِ رغدة وقلتُ لها: " أسرعي! اركضي معي يا رغدة!"

صاحَ سالم: "لا تركضوا! لا تركضوا! الكلابُ تحبُّ الملاحقةَ."

ولكنّنا لمْ نتوقّفْ بلْ ركضنا باتّجاهِ الكبينةِ ودخلناها ونحنُ نضحكُ بهستيريّةٍ منَ الخوفِ ومنْ فرحنا بأنّنا وصلنا إلى برِّ الأمانِ. دخلنا الكبينةَ وتسابقنا لنرى منْ منّا تدخلُ الحمّامَ أوّلاً.

13



رحلةٌ في المنطادِ

في صباحِ اليومِ التّالي، استيقظنا على رنينِ المنبّهِ. أطفأتُ المنبّهَ وتقلّبتُ في فراشي... ما زلتُ أشعرُ بالنّعاسِ. ولكنَّ رغدة كانتْ لي بالمرصادِ، فصارتْ تهزّني وهيَ تقولُ بحماسٍ: "هيّا يا زينبُ! استيْقظي! سنطيرُ بالمنطادِ بعدَ قليلٍ."

نـادتْنـا رشـا منَ الغرفةِ الثّـانيـةِ: "زينب... رغدة... هيّـا! هيّا! لقدْ حضرتِ السّيّارةُ لتأخذنا." قفزتُ فزعةً منْ سريري وأسرعتُ لأجهّزَ نفسي.

قـالتْ يـاسمين: "آخ على فنجـانِ قـهوةٍ."

ركبنـا في السّيّارةِ الكبيرةِ الحمراءِ الّتي أخذتنـا إلى موقعِ المنطادِ. وقفتْ رغدةُ مشدوهـةً تنظرُ إلى المنطادِ الكبيرِ الملوّنِ بألوانٍ زاهيـةٍ والّذي يحملُ تحتَـهُ سلّةً منَ القشِّ.

قلتُ بتردّدٍ: "أمتأكّدةٌ يا رشا أنَّ المنـاطيدَ آمنـةٌ؟ يعنـي... لنْ تسقطَ بنـا؟"

ضحكتْ رشا وقـالتْ: "أنـا جبـانـةٌ أكثرَ منكِ يا زينب. لوْ كـانَ هنـاكَ خطرٌ مـا كنّـا لنأخذكمْ ومـا كنتُ لأركبَ معكمْ."

قـالتْ يـاسمين: "هيّـا! استعدّوا لأوّلِ صورةٍ عندَ المنطـادِ."

رحّبَ بنا الكابتن حازم، قائدُ المنطادِ، وساعدَنا على ركوبِ السّلّةِ، ثمَّ فسّرَ لنا كيفَ يعملُ المنطادُ.

وابتدأتْ رحلتُنا... وبكلِّ هدوءٍ ودونَ أنْ نشعرَ ارتفعَ المنطادُ عنْ سطحِ الأرضِ وحلّقَ عاليًا.

كانَ الهدوءُ والصّمتُ يسودانِ المكانَ ولا يكسرهما إلّا فحيحُ صوتِ الغازِ بينَ الحينِ والآخرِ.

قالتْ رغدة وهيَ تنظرُ حولها إلى هذا المنظرِ البانوراميِّ الرّائعِ: "يا إلهي! كمْ هوَ رائعٌ هذا المنظرُ!"

أمّا سالم فقدْ عيّنَ نفسَهُ مساعدًا لقائدِ المنطادِ، فصارَ يتبعُ تعليماتِ القائدِ فرحًا وهوَ يقولُ: "لقدْ غيّرتُ رأيي لا أريدُ أنْ أدرسَ الهندسةَ بلْ سأتعلّمُ كيفَ أصبحُ قائدَ منطادٍ. يا ترى هل يدرّسونَ هذا التخصّصَ في الجامعةِ يا عبدالله؟"

ولمدّةِ ساعةٍ وأكثرَ، حلّقَ بنا المنطادُ فوقَ "وادي رم"

المحاطِ بجبالٍ ألوانُها رماديّةٌ نحتتْها الرّياحُ بأشكالٍ غريبةٍ. وتمكنّا منْ مشاهدةِ بعضِ الرّعاةِ وهمْ يرعونَ خرافَهمْ بينَ الجبالِ مستفيدينَ منْ ظلالِ الجبالِ لتحميَهُمْ منْ حرارةِ الشّمسِ.

وزّعتْ علينا رشا "سندويشاتٍ" كانتْ قدْ طلبتْ منْ إدارةِ الاستراحةِ تحضيرَها لنا فكانَ رائعًا أنْ نأكلَ إفطارَنا ونحنُ في المنطادِ.



أمّا ياسمين فظلّتْ تقولُ وهيَ تتثاءبُ: "آهٍ على فنجانِ قهوةٍ يصحصحني!"

قالتْ رغدة: "كمْ أنا سعيدةٌ في المنطادِ، أشعرُ وكأنّني عصفورٌ صغيرٌ يرى العالمَ منْ فوقِ... منْ بعيدٍ بعيدٍ. كمْ أتمنّى لوْ نسافرُ في هذا المنطادِ إلى بلادٍ أخرى فنرى العالمَ بهذهِ الطّريقةِ."

ثمَّ ضحكتُ قائلةً: "تخيّلي يا رغدةُ لوْ أنَّ المنطادَ يطيرُ بنا إلى عمّانَ ويهبطُ في ساحةِ المدرسةِ."

صاحتْ رغدةُ ضاحكةً: "ستكونُ مفاجأةً رائعةً، وستطلبُ سناءُ وباقي البناتِ مشاركتَنا، ولكنْ لنْ يتّسعَ لهنَّ المنطادُ. تخيّلي ردّةَ فعلِ المعلّماتِ والسّتْ نائلة."

ضحكنا طويلاً ونحنُ نتخيّلُ ما ستقولُ كلُّ معلّمةٍ ونحنُ نهبطُ بالمنطادِ في ساحةِ المدرسةِ.

للأسفِ انتهتْ رحلتنا. تصوّرنا معْ قائدِ المنطادِ،

الكابتن حازم، وودّعناهُ ثمَّ ركبنا السّيّارةَ الحمراءَ الّتي كانتْ بانتظارِنا وعدْنا إلى الاستراحةِ.

14



نهايةُ المغامرةِ

قضينا باقيَ النّهارِ في الاستراحةِ، وفي العصرِ ركبْنا باصَ العودةِ إلى عمّانَ. كانتْ والدتي والخالةُ أمُّ سالم في انتظارِنا عندَ موقفِ الباصِ. شكرتْ رغدة المتطوّعينَ في جمعيّةِ "حقّقْ حلمك" على تحقيقِ الحلمِ الّذي راودَها منذُ الطّفولةِ وعانقتْهُم وهيَ تمسحُ الدّموعَ منْ عينيْها.

قالتْ رشا لرغدة: "لا تبكي يا عزيزتي وإلّا سأبكي معكِ. أنتِ الآنَ والحمدُ للهِ تعتبرينَ منَ النّاجينَ منْ مرضِ السّرطانِ، ونأملُ أنْ نراكِ أنتِ وزينب وسالم كمتطوّعينَ معنا في الجمعيّةِ قريبًا. ما رأيكمْ؟"

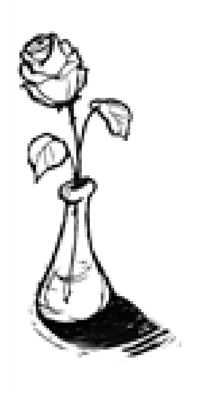
ضحكتْ رغدة وقالتْ خجلةً: "إنْ شاءَ اللهُ... إنْ شاءَ اللهُ." ودّعتُ الجميعَ وتبادلتُ معهمْ عناوينَ البريدِ الإلكترونيِّ و"الفيسبوك" واتّفقنا على التّواصلِ سويًّا.

قالتْ ياسمين: "طبعًا... طبعًا، سنتواصلُ. انتظروا الصّورَ على "الفيسبوك"، لقدِ التقطتُ صورًا رائعةً جدًّا."

كانَ سالم يحملُ الحقائبَ ليضعَها في السّيّارةِ وتوقّفَ قليلاً والتفتَ يبحثُ عنّي بعينيْهِ، وعندما وجدَني ابتسمَ لي منْ بعيدٍ وهوَ يقولُ: "معَ السَّلامةِ يا زينب."

لا أدري لماذا شعرتُ بوجهي يحمرُّ خجلاً وقلبي تتسارعُ دقّاتهُ وأنا أردُّ عليهِ السّلامَ.

15



شكلٌ جديدٌ لرغدة

في طريقِ العودةِ إلى البيتِ، حكيتُ لأمّي كلَّ ما حصلَ، ووصفتُ لها جمالَ المناظرِ منَ المنطادِ وحفلةَ العشاءِ في الخيمةِ الكبيرةِ.

قالتْ لي أمّي: "عندي مفاجأةٌ لكِ يا زينبُ. هاتفني والدُكِ بالأمسِ وأخبرني أنَّهُ سيحضرُ لزيارتِنا غدًا."

سعدتُ جدًّا لهذا الخبرِ فقدِ اشتقتُ إلى أبي كثيرًا، فعندما يكونُ في عمّانَ يحدّثني عنْ عملهِ وحياتهِ في الإماراتِ ويستمعُ إلى أخباري باهتمامٍ.

قلتُ لأمّي بحماسٍ: "سأساعدكِ لنعملَ لهُ أكلتهُ المفضّلةَ."

قالتْ أمّي بحدّةٍ: "ساعديني في ترتيبِ غرفتكِ يا زينبُ. كمْ مرّةً طلبتُ منكِ أنْ ترتّبي ملابسكِ ولا تتركيها على الكرسيِّ في غرفتكِ؟"

ضحكتُ بخجلٍ قائلةً: "خلصْ يا ماما! أعدكِ أنّني سأرتّبُ غرفتي."

في اليومِ التّالي، عدتُ منَ المدرسةِ لأجدَ أبي في البيتِ. أسرعتُ لأعانقهُ وأحدّثهُ عنْ أخباري.

أرادَ أبي أنْ يسمعَ عنْ رحلتِنا بالمنطادِ. فأخبرتهُ وأريتهُ بعضَ الصّورِ الّتي التقطتُها بهاتفي النّقّالِ قائلةً:

”سوفَ ترسلُ لنا ياسمين صورًا التقطتها في الرّحلةِ. إنّها مصوّرةٌ رائعةٌ.“

قالَ أبي: ”يبدو لي أنّها كانتْ رحلةً ممتعةً.“

مرّتْ زيارةُ أبي بسرعةٍ، وانشغلتُ عنْ رغدة بزياراتِ الأهلِ والأقاربِ، حتّى جاءَ يومٌ هاتفتني رغدة فيهِ قائلةً: ”هلْ أستطيعُ أنْ أزوركِ اليومَ بعدَ الظّهرِ؟“

قلتُ لها: ”طبعًا يا رغدةُ، تفضّلي أريدُ أنْ أُعرّفكِ على أبي.“

دقَّ البابُ... أسرعتُ لأفتحهُ وفوجئتُ برغدة وهيَ تقفُ أمامي بدونِ قبّعتِها.

انتبهتُ إلى أنَّ شعرَها قدْ نما وصارَ شكلُها وكأنّها قدْ حصلتْ للتوِّ على قَصّةٍ قصيرةٍ جدًّا لشعرِها.

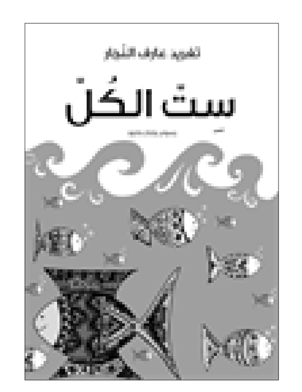
صرختُ بأعلى صوتي منَ المفاجأةِ! وصرنا أنا ورغدة نقفزُ ونضحكُ ثمَّ عانقتها بفرحٍ وقلتُ لها:

”قَصّةُ شعرٍ جميلةٌ يا رغدة... على آخرِ موضة.
ما رأيكِ أنْ أقصَّ شعري مثلكِ فنصبحَ توأمًا؟“



روايات أخرى لليافعين للمؤلفة تغريد النجار

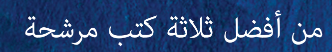








www.alsalwabooks.com





تسخر طالبات المدرسة من زميلتهنّ الجديدة رغدة بسبب ارتدائها قبّعة طول الوقت حتّى في الطّقس الحار، ولكن عندما تكشف رغدة عن سرّ ارتدائها للقبّعة تصبح زميلاتها أكثر تعاطفًا وتفهّمًا لها.

تصبح زينب أفضل صديقة لرغدة وتشاركها أفراحها ومعاناتها، كما تقضي معها ومع أخيها سالم أحلى الأوقات. يذهب ثلاثتهم في رحلة شيّقة لركوب المنطاد فيستمتعون بمغامرة فريدة لا يمكن أن تمحى من الذّاكرة.



